المحاضرة رقم 01:

تعريف الأدب المقارن:

يهتمّ الأدب المُقارَن بدراسة علاقة الآداب ببعضها البعض، من خلال الكشف عن المسالك التاريخية التي مهّدت أو ساهمت في حدوث التأثير بين الآداب القومية المُختلفة.

إنّه (العلم) الذي يعتمد على منهجية المقارنة لدراسة الأدب، وما يفسّر تسميته بالعلم، أنّه ظهر في سياق:

أ)- انتشار النزعة الوضعية في الفكر الإنساني الأوروبي، والذي يعتمد على مبدأ العلة والسببية في دراسة الظواهر.

ب)- ارتهان العلوم الإنسانية بالنزعة التاريخية؛ ذلك أنّ القرن التاسع عشر، لم يكن فقط عصرا وضعانيا، بل كان أيضا عصر التاريخ بامتياز.

إذا عدنا إلى تعريف إيف شفريل، فإنّ الأدب المقارن يعني بدراسة الآداب خارج حدودها القومية، واللغوية بالخصوص. إذ يقول:

((وبناء على ما تقدّم، يجب أن نفهم بالأدب المقارن أنه العلم المقارن للأدب، إنه فرع من العلوم الإنسانية والاجتماعية الذي يقوم بدراسة النتاج البشري المعتبر نتاجا أدبيا، دون أن يلتزم مسبقا بأية حدود أيا تكن، اللغوية منها بخاصة.)) (ص06)

ومعنى هذا، أنّ الأدب المُقارن جاء في عصر انفتح فيه العقل الأوروبي على الثقافات، وإن كان ذلك الانفتاح مبنيا أساسا على نزعة أوروبية مركزية، جعلت من أوروبا المركز، والثقافات الأخرى بوصفها الهوامش. وليس أدلّ على ذلك، من أنّ القرن التاسع عشر، والذي كان قرنا إنسانيا، لو أخذنا بمقولة نيتشه، كان قرنا استعماريا أو قرنا امبراطوريا.

ما يهمّ في سياق التعريف بهذا المجال المعرفي، هو تحديد مجاله، وبحسب سوزان باسينت، فمن خصوصية هذا المجال أنه (بيني)؛ وقد عرّفت البينية بأنّها دراسة:

((أنماط العلاقات في الآداب عبر كل من الزمان والمكان)). (سوزان باسينت، الأدب المقارن (مقدمة نقدية)، تر: أميرة حسن نويرة، ص 05).

تكمن أهمية الأدب المقارن، في تجديده لفعل القراءة؛ أي أنه اقترح نمطا مختلفا من القراءة، يقوم على إدراك العلاقات بين الأعمال الأدبية، من خلال الكشف عن مواطن التشابه بينها، ومحاولة تفسير أسباب هذا التشابه. بالعودة إلى مصادر التأثير، ومسبباته.

قال ماثيو آرنولد (1857):

((في كل مكان توجد علاقة، وفي كل مكان يوجد مثال وإيضاح، وليس بإمكاننا فهم حدث واحد أو أدب واحد بطريقة ترضينا إلا بدراسة علاقته بأحداث أخرى أو آداب أخرى)) (ص 05)

قراءة تجربة أدبية تؤدي إلى اكتشاف مصادرها في آداب أخرى، فمصادر شكسبير أتت عبر اللاتينية والفرنسية والاسبانية والإيطالية، الشاعر الفرنسي الكبير شارل بودلير تأثر بإدجار آلان بو الأمريكي، والروائيون الانجليز تأثروا بالروائيين الروس في القرن التاسع عشر...إلخ.

((فما إن نبدأ القراءة حتى نتحرك عبر حدود ونخلق ارتباطات وعلاقات ونقرأ ليس داخل إطار أدب واحد ولكن خلال المساحات الواسعة للأدب بمفهومه الأشمل والذي أطلق عليه جوته مصطلح "الأدب العالمي"... وقال: "إنّ الشعر ملكية عامة للبشر كافة، وهذا ما يبدو لي أكثر وضوحا يوما بعد يوم)). (ص 06)

<u>تعريف المقارنة:</u>

هي نمط من أنماط آلية عمل العقل البشري. وهي في الواقع تعني ((تناول مجموعة أشياء (cum) معاً من أجل تقصّي درجات الشبه (par)، توصلاً إلى خلاصات قد لا يسمح تفحّص كل واحد منها بالضرورة، بالتوصّل إليها، وبخاصة ما يكسبها فرادتها)). (ايف شوفريل، الأدب المقارن، ص05).

وبالنظر إلى أهمية آلية المقارنة في التفكير العلمي، برزت عدة علوم انتهجت هذا المنهج (المقارنة منهج؟)، منها: علم التشريح المقارن (Anatomie comparée) الذي ظهر في القرن السابع عشر. علم النحو المقارن، التشريع المقارن... إلخ.

شروط المقارنة:

شرط المقارنة، بحسب هذا التعريف: عدم الالتزام بالحدود اللغوية للآداب.

المحك بالنسبة للمقارنين هو (الخارج)؛ الحدود، التخوم، بؤر التأثيرات.

المقارنة= التحرك عبر الحدود/ القراءة ضمن المساحة الكبرى للأدب. يعود الفضل إلى جوته الذي نحت مصطلح (الأدب العالمي) الذي يعني بأن الشعر/ الأدب ملكية إنسانية، وليست ملكية قومية ضيقة.

الهدف من الأدب المقارن:

كان القرن ال19، القرن الذي شهد تحولات في داخل الثقافة الأوروبية، بعد أن مهدت لها الثورة الرومانسية في ألمانيا، التي حطمت الحدود، وهي المرحلة التي شهدت ميلاد مفهوم (العالمية).

الفيلسوف الألماني (نيتشه) وصف هذا القرن بأنه قرن إنساني، ويستمد أهميته بما يقوم به من مقارنة لتصورات العالم، وللأعراف، والحضارات. هذه الحركة، أدت إلى اكتشاف غنى ثقافات الشعوب الأخرى.

لكن، وراء المفهوم البسيط للأدب المقارن – كما يتراءى للبعض من الوهلة الأولى – يقف تاريخ طويل من المناقشات العنيفة، التي مازالت مستمرة إلى اليوم، حول السؤال التالي: ما هدف الدراسة في الأدب المقارن؟

بالنسبة للفيلسوف الإيطالي بينيديتو كروتشي Benedetto Croce اعتبر الأدب المقارن بأنه (لا موضوع)؛ رفض أن يعتبر الأدب المقارن دراسة أكاديمية، بل اعتبره (حذلقة علمية)! وفضّل بدلا عن الأدب المقارن دراسة التاريخ المقارن للأدب:

((إنّ التاريخ المقارن للأدب هو تاريخ يجب أن يفهم بمعناه الحقيقي كشرح كامل للعمل الأدبي بكل علاقاته المنظومة في التاريخ الأدبي للعالم بأسره)) (ص07) سوزان باسينت، الأدب المقارن (مقدمة نقدية)، تر: أميرة حسن نويرة،

في المقابل، هناك طرف آخر نظر بإيجابية إلى الأدب المقارن، أمثال تشارلس ميلز غايلي، وهو أحد مؤسسي الأدب المقارن في الولايات المتحدة الأمريكية، الذي قال:

((الأدب كوسيلة متميزة ومتكاملة للفكر، وتعبير مشترك ومجمع للإنسانية)) (ص 07). سوزان باسينت، الأدب المقارن (مقدمة نقدية)، تر: أميرة حسن نويرة،

يفترض هذا الموقف، النظر إلى الأدب كنوع من (الديانة العالمية)، وأنّ الاختلافات الثقافية من شأنها أن تتلاشى أو تضمحل في الأعمال الأدبية العظيمة، التي ستتحوّل إلى مساحة لتجسيد التوافق والانسجام العالمي. من هذا المنظور، قال رينيه ويليك في كتابه المشترك مع وارين أنّ ثمة شروط ينبغي توفرها عند المقارنين، وهي المهارات اللغوية، والقدرة على كبح المشاعر القومية، وهي الأمور التي يصعب تحقيقها.